

الباغي

اصروف الانجازات الفكرية

في الشرق العربي



CA
297

Si 562aA

~~AG 7 '58~~

~~Jan 12 '58~~

~~MAR 9 '60~~

~~1 '61~~

~~DEC 21 '62~~

منه

Cat. 18 Dec. 53

لا محلة الا للاديب العزاة
هدية
CA 110
297
A 295
C.I.
OF DETROIT

بمجموعة من الكتب النادرة
التي كانت في حوزة
الشيخ المشايخ

الجنة الثقافية

اصدق الله بما في القلوب

في السنة العربية

بقلم الاستاذ

مصطفى حنفي الشيباني

من مجموع ايامه بدمشق

cat. 18 Dec. 1953



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وآله وصحبه

بين يدي الرسالة

في عصرنا الحاضر، عصر النور والعلم والحضارة، يجد
أبناء أمتنا الكريمة، ألواناً من الثقافات التي تعرض عليهم،
يحيط كل لون من تلك الثقافات فن من الدعاوة والاغراء،
ويجد شبابنا المثقف الواعي ان كل ثقافة معروضة انما
تبشر بمذهب في الحياة واسلوب في الحكم والتشريع
والاصلاح الاجتماعي .

ولقد كان يجب ان يكون في المقدمة، الاسلام بمفهومه
الواسع، كحضارة ورسالة تنظم امر الدين بمعناه التعبدي
المحدود وتحكم امر الدنيا بأساليب نظمها في تنسيق التشريع
والآداب العامة والنظام العام، كان يجب ان يكون
الاسلام بمفهومه الشامل لدواء الروح والمادة، بتقديم هذه
التيارات الفكرية المتدفقة من الغرب على الشرق، تدفق
السيول الطامي . ولكن الاسلام من حيث صيغته الموضوعية
حتى اليوم يكاد يكون غريباً عن اهله وابنائهم قبل ان

يكون مفهوم ما من أعدائه "والجهال" بكنهه وهذا ما يحدو
بكل من فقه شطراً من دينه وفهم ركناً من أركان الإسلام
في تشريعه وآدابه وعباداته إن يصب ما فهم في أساليب
يسينها أبناء هذا العصر وعليه أن يلبسه ثوباً محبباً إلى عقاية
القرن العشرين ليحقق الإسلام فينا معجزته التي اثبتتها في
سفر التاريخ فخلدت بأسطر من نور مشرقة في سجل أجدادنا
الغر الميامين الذين خدموا دينهم فأبرزوا للناس اجمل مظاهر
مرونة الإسلام ويسره ، واحب احكام القرآن لقلوب الناس
كافة ؛ ذلك لان الإسلام في جوهره ، رؤوف بمصالح البشر
ضامن لسعادة الانسانية .

وان اول ما تشعر به اللجنة الثقافية في جمعية الشبان
المسلمين ان عليها مهمة تصوير الاسلام بجميع الطبقات
الاجتماعية بوجهه المشرق المرن الناظم لمصالح الفرد الساهر
على راحة المجموع . فشر مفهوم الاسلام بشكل يجمعه
محبباً إلى قلب العامل والزارع والتاجر والمنقف هو اول
ما تسعى له جمعية الشبان المسلمين من شباب محمد (ص) .
ولقد مرر بالاسلام أناس فهموا منه ما لم يأذن به الله

فضلوا واضلوا وحسبوا ان الاسلام دين قاصر على العبادة
ثم نظروا للعبادة وحكموا عليها بظواهر احوالها وحرركاتها ،
وبسطحية أثرها فيمن لا يتعمقون بادائها وفهمها فظنوا
واهمين ان هذا الدين الذي صلح به اول هذه الامة
لا يصلح به آخرها .

مع ان رسالة الاسلام انما احكمها الله لتكون نبراساً
للناس كافة فهي مبادئ اجتماعية عالية لا يأخذ بها شعب
الا سما وارتقى وقوي وازدهر دون تمييز في ذلك بين
شعب وآخر فالنبي عليه الصلاة والسلام ما أرسل الا
رحمة للعالمين الا أن الامة العربية هي أولى شعوب
الارض بتقبل هذه الرسالة الاجتماعية المقدسة واحرارها
بتمثلها والسير تحت لوائها حتى تبلغ في مجدها الحاضر ما
بلاغه اجدادنا البواسل في عزم الغابر .

ولعل اعرق ما يحز في النفس أن نجد بعض الاغرار
والمخادعين من ابناء هذه الامة الايبية يولون وجوههم
شطر دول اجنبية يتخذون مبادئها لهم ديناً ، ورجالها لهم
زعماً ، وقادتها مبعث فخار وتقديس ، مع انهم لو اخلصوا

لماضيهم وكانوا بررة بأمتهم وامجادهم لا يتخذوا من تاريخ
حضارتنا المشرق أقوى حافظ لضمان مستقبل باهر يقوم
على سواعد ابناء أمتنا وخدم دون ارتكاس في احضان
امة اجنبية ثانية .

ان في الاسلام لغنية عن كل مذهب آخر ، وانه
باعتباره روح القومية العربية ليتسع لكل طوائف هذا
الوطن لاننا عندما نريد الاسلام نريده حضارة شاملة
للتشريع والآداب العام والنظام العام فهو بهذا المفهوم
لا يمنع احداً من أداء شعائر دينه كاملة ، كما كانت الحال
أيام كان الاسلام في عزه وتسامحه يوم كان اصدق
مثل أعلى في السمو والكمال .

فالجمعية لا تمت بصلة في دعوتها ونشر رسالتها الى
عصبية او تعصب ولا تريد الا ان تبني الامة نهضتها
معتمدة على رسالة الاسلام المستقلة عن أي ركون لترعة
او امة اجنبية مستثمرة .

ولعل اللجنة الثقافية في جمعية الشبان المسلمين اذ
تتقدم بهذه الرسالة تقوم بحجز صغير من الواجب

الاصلاحي العام الذي يجب ان يقوم على اساس الاسلام
ويستمد منه كل اصوله ومبادئه •
(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).



فان الله يحب الصالحين
والذين هم على صراط مستقيم
والذين هم على صراط مستقيم
والذين هم على صراط مستقيم
والذين هم على صراط مستقيم
والذين هم على صراط مستقيم

ومرتهنا في الاصلاح

يحتاز الشرق العربي الحديث طوراً خطراً من اطوار
حياته الاجتماعية والفكرية فقد تنبه بعد رقاد عميق
والقى نفسه في عالم زاخر بالحركة والحياة، ورأى أن
له من ماضيه وتراثه ما يبعث على الزهو والفخر والتقدم
والنهوض، واستعد للمسير فاذا السبل أمامه مختلفة متغايرة،
وإذا الدعاة متعددون متباينون كل يزعم أن طريقه
أسلم فاقبة وأقوم بحجة. فسار الشرق حائراً لا يدري أي
الطرق أحق بالاتباع وما يزال حتى الآن متعزراً في
خطواته يسير في فجاج لا عداد لها وسط صحراء قاحلة
أيس بها منارات ولا صوى. على أن هذه الفوضى الفكرية
ليست بعجيبة في مثل هذا الطور، فالأمم في بدء نهضتها لا
يد من أن تختلف مشاربها وتبيل آراؤها حتى تثبت لها
التجارب والبحوث أقوم المناهج وأنفعها وإنما الامر المفلق
أن تستمر هذه الفوضى أمداً طويلاً دون أن تهتدي الأمة
إلى النهج الذي يجب أن تسير عليه في حياتها المقبلة.

تستعرض الآن أهم الاتجاهات الفكرية السائدة في المجتمع العربي وليكن ذلك بإيجاز ، فلسنا في مقام التأريخ لها والتحدث عنها بل في مقام التفضيل بينها واستنتاج اصدقها واسلمها طاقية .

يرى فريق من الشباب ان تسيير الامة في طريق الحرية الفكرية الى اقصى مداها فلا تتقيد بدين ولا تعبا بتقاليد زاعمين ان الدين عائق عن الرقي والتقدم وأن التقاليد جميعها عثرة في سبيل الاصلاح ؛ ويستتبع ذلك رأيهم في النظم الاخلاقية أنها أمور اصطلاحية متعارفة ليس لها حقائق في ذاتها بل اضفى عليها العرف والبيئة والوراثة ثوباً سابغاً حتى صارت حقائق في نظر الناس وليست هي من ذلك بقايل ولا كثير .

ويرى فريق آخر أن يحصر الدين في المعابد والهياكل فحسب أما الدولة فلا تصبغ نفسها بأية صبغة من الدين ، ولا تتقيد بأي نظام من نظمه ، ويزيد بعضهم على ذلك : الدعوة الى قومية خاصة لكل قطر عربي ، فلسوريا قومية وللعراق قومية ولمصر قومية وهكذا . . .

ويدعو آخرون إلى الثورة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية ثورة جامعة فلا تبقى على دين ، لانه مخدر الشعوب ، ولا على ثورة في يد الافراد لانها مثار الظلم ، ولا على رابطة قومية او جنسية لانها تحول دون الرخاء العالمي بما تثيره تلك القوميات من فتن وحروب .

ويؤمن آخرون بوجود اجياد الشعور القومي في الامة وتنبئها الى خصائصها وامجادها وذكريات ابطالها . ومن هؤلاء من يتنكر للدين فلا يري ان يكون من ضمن العناصر التي تبني عليها القومية العربية جمعاً للكلمة بين عناصر الامة الواحدة ومنهم من يعرف للاسلام قدره ولكن لا يذهب الى مدى بعيد في الاخذ منه .

نستطيع ان نلمح في هذه المذاهب المتعددة في ظاياتها وفي وسائلها أمراً جامعاً بين اكثرها وهو النفرة من الدين وابعاده عن الحياة العامة وتجاهل القوى الكامنة في نفسية الامة المستمدة من عقائدها وتراثها وماضيها المشرق الجميل .

في وسط هذه المذاهب الفكرية يرتفع صوت قوي

من اعماق نفوس مؤمنة ، يدعو الى اتخاذ الاسلام أساساً
لنهضتنا وحركتنا التجديدية ، والاستفادة من العناصر
القوية التي يفيض بها مجتمعنا الحاضر والتثبت في كل
ما نأخذ عن أمم الحضارة فلا نفتبس منها الا ما ثبت
صلاحه واستقام أمره . هذا الصوت القوي الذي بدأ
خافتاً ضئيلاً وما زال يقوى وينتشر حتى أصبح بعيد
المدى ، قوي الأثر ، هو صوت الشباب المسلم الحديث ، ممن
تضمهم رابطة شباب محمد صلى الله عليه وسلم . ومما يدعو
الى الاهتمام بهذه الحركة أن جل القائمين بها شباب
نهلوا من معين الثقافتين الاسلامية والاوربية ودرسوا
الحضارتين العربية والغربية ، ومن ثم كان حتماً لزاماً أن
تعال هذه الدعوة الجديدة حظاً كبيراً من التوسع والانتشار .

على أي الأسس ترتكز الدعوة الإسلامية الحديثة؟

ترتكز هذه الدعوة الجديدة إلى أسس قويتين :

الأول — أن الإسلام أحدث فيما مضى أكبر انقلاب عرفه التاريخ سواء في محيط العرب الذين نزل عليهم الإسلام أم في محيط غيرهم من الأمم التي دانت به أو خضعت لسلطانه .
وإذا كان للإسلام هذا الأثر في قلب أوضاع الجماعات المتفككة، المبعثرة القوى، الفاسدة في عقائدها وأخلاقها، فلم لا نستفيد منه اليوم في القضاء على عيوبنا الاجتماعية التي جعلتنا في مؤخرة الأمم علماً وكرامة وحرية؟

الثاني — أن الجماعات لا يمكن أن تعيش بغير دين كما قرره علماء الاجتماع وقد قال رينان في كتابه « تاريخ الأديان » من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شيء تحبه وكل شيء نعده من ملاذ الحياة ونعيمها ومن الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة العقلية والصناعية ولكن من

المستحيل ان ينمحي التدين او يتلاشى ، وما دام الامر
كذلك فليكن هذا الدين هو الاسلام ، لانه اساس
حضارتنا ومجدنا ولان فيه من الخصائص ما يجعله عظيم
الاثر في رفع مستوى الافراد والجماعات وصيانة كيان الامة
من التحلل والسقوط والفساد .

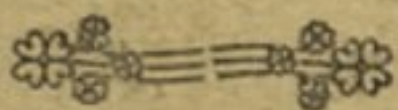
هاتان هما الدعامتان اللتان ترتكز عليهما الدعوة
الاسلامية الحديثة . فلننظر في مدى قوتها وثباتها أمام
البحث والتحليل .



الاسلام اصرت اكبر ثورة عالمية

من الثابت تاريخياً أن العالم في بدء الدعوة الاسلامية كان مملوءاً بالفتن مستعراً بالحروب التي خضبت وجه الارض بدماء الابرياء ، وكان الملوك والرؤساء ورجال الاديان يتحكمون في عقول الناس وابدانهم واموالهم ، وكانت الشرور الخلقية عامة طامة ، مما هوى بالانسانية الى درك سحيق جعل الحيوانية خيراً منها وأسلم عاقبة . أما العرب فقد كان فيهم ما في غيرهم من تفكك وجهالة ووثنية ، مع ما كانوا يتحلون به من صفات فردية ممتازة كالشجاعة والشجاعة والكرم وصفاء الفطن وحدته وحب الحرية والاستقامة في سبيلها . في هذا العالم المضطرب انبعث صوت الاسلام من صحراء الجزيرة وكان صوتاً قوياً مجلجلاً لم يلبث في عقدين من السنين أن أحل الجماعة العربية المتأخرة الى جماعة راقية تحيا حياة جديدة في تفكيرها وذاياتها ومثلها العليا ،

ثم لم ترض لنفسها ان تظل كما كانت من قبل منزوية عن
العالم بل اندفعت من جزيرتها لتحقيق هدف الاسلام في
احداث ثورة عالمية جارفة تتغير معها خرائط وتبدل بها
عقائد وتزول بها دول وحضارات وتقوم على انقاضها مدنية
لم يعرف التاريخ اسمى منها مباديء ولا اجزل منها خيراً .
فالثورة التي احدثها الاسلام في امد وجيز جداً ثورة لا
نظير لها في تاريخ الحركات العالمية الكبرى .



قدرة الاسلام على رفع مستوى الجماعات

من الثابت لكل من درس طبائع الامم وأحاط بأسباب نهوضها وانحطاطها أن كل امة تاهضة لا بد لها لتكون نهضتها مشمرة ثابتة من دعائم اهمها :

١ - التحرر من الخرافات والشعوذات وفسح المجال للعقل .

٢ - التزود من العلم بأكبر نصيب .

٣ - الصحة في الاجسام .

٤ - الاخلاق القوية التي لا تبغي ولا تستكين ولا تحاق

في أجواء الخيال ولا تسف الى الواقع الدنيء .

٥ - القوة العسكرية التي تحفظ الامن في الداخل وترد

بغى الاعداء في الخارج .

٦ - تربية الضمير الاجتماعي في نفوس الافراد بحيث يحقق

للدولة ما ترجوه من سن النظم وشرع القوانين .

٧ - التشريع الذي يحفظ حقوق الناس ويصون مصلحة

المجتمع ، ويسر للامة العيش الرغد والامن الشامل .
هذا ما تحتاج اليه كل أمة فاهضة تود الحياة في ظلال
العزة والكرامة فالى اى مدى نستطيع أن نعتمد على الاسلام
في تحقيق هذه الحاجات ؟

الحق ان الاسلام زاخر بالتعاليم التي تذهب الى أبعد
غاية في تحقيقها ان عرف القادة كيف يفهمون روحه
و كيف يبثون في الامة تعاليمه .



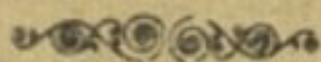
١ - الاسلام والعقل وموقفه من التخرافات

الاسلام يكبر من شأن العقل أيما كبار ويعتمد عليه في اقناع الناس بصدق مبادئه فالبراهين التي تثبت للناس عقيدة الايمان بالله واحد - وهي اساس عقيدة الاسلام - يراهن عقلية بحجة والطريق التي سلكها القرآن لاثبات ذلك هي طريقة الاستدلال العقلي والنظر الفطري . وكثيراً ما تنتهي آيات القرآن بمثل هذه المقاطع : أفلا تعقلون . أفلا تدبرون . لعلمم تذكرون ، ومن هنا اتفق علماء الاسلام أن الايمان المقبول ما كان عن علم وبرهان لا عن تقليد واذعان واختالفوا في ايمان المقلد أيصح منه أم لا ؟ ولقد نعى الله على اقوام يتبعون آباءهم في عقائدهم دون ان يستعملوا عقولهم ووبخهم أبلغ توبيخ « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟ .. صم بكم عمي فهم لا يعقلون . أولئك كالانعام بل اضل سبيلاً . » . وفي بعض الآثار : تفكر ساعة خير من عبادة سنة . فما دام الاسلام يرفع من شأن العقل الى هذا الحد كان

طبيعياً ان يشن على الخرافات والاباطيل حرباً شعواء لا
هوادة فيها، فهو ينهى ان يتبع الرجل او يعتقد ما لم يقم
عليه برهان قطعي ثابت « ولا تقف ما ليس لك به علم إن
السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً »
والعلم المطلوب في هذه الآية هو الاعتقاد اليقيني الثابت
المطابق للواقع عن دليل وبرهان . وهو يكافح الخرافات
في شتى صورها . من عبادة الاوثان التي هي رأس الخرافات
والاباطيل الى الكهانة والسحر والطيرة والاستقسام
بالازلام وما اشبه ذلك مما كان ذائعاً عند الامم القديمة ولا
يزال قسم كبير منه حتى الآن عند الامم الحديثة
ذات المدنية والحضارة ومن اروع ما يؤثر في هذا
الباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس
كسفت يوم مات ولده ابراهيم فظن الناس انها انما
كسفت من اجله فانكر ذلك رسول الله اي انكار تحريراً
للعقل من رق الخرافات والالوهام وقطعاً لدابر الشعوذة
والتدجيل في اوساط العامة

ذلك هو موقف الاسلام من العقل ومخاربه للالوهام

والإباطيل فلا نستغرب بعد ذلك إذا رأينا الفكر العربي
الذي كان يرضى في الجاهلية أن يعبد حجراً لا يضر
ولا ينفع يتسامى بهد الإسلام فيتطلع إلى معرفة دقائق
التشريع وحكمة آدابه وفرائضه .



والاسلام الذي يكافح الخرافات ذلك الكفاح الجريء
 الصريح ، يعلم ان اول عامل في مكافحة الخرافات من عقول
 الامة ، إقبالها على العلم إقبالا شاملا لشتى نواحيه فلم يأل جهداً
 في الحث على العلم والترغيب فيه . وهو لا يخصص ذلك بعلم
 دون علم بل كل علم تحتاج اليه الامة وجب أن يكون فيها
 من يتعلمه بما يسد حاجتها اليه ، ولقد أحصى بعض العلماء
 الآيات التي تلفت أنظار الناس الى أسرار آكون وتحشم
 على استجلاء غامضها فبلغت خمس آيات القرآن . وكثيراً ما
 شاد القرآن بفضل العلم والعلماء « قل هل يستوي الذين
 يعلمون والذين لا يعلمون » ونوه بسمو مكانتهم وعلو منزلتهم
 « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات »
 وقصر ثقل الآيات والامثال عليهم « تلك الآيات نضربها
 للناس وما يعقلها الا العالمون » وليس هذا كل شيء بل في
 حديث رسول الله ما يجعل المداد الذي ينفقه العالم في تسويد
 الصحف وتاليف الكتب أرجح عند الله من دم الشهيد مع
 أن دم الشهيد هو في نظر الاسلام أذكى دم يراق على تربة

الوطن (بوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء
فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء) .

كان لموقف الاسلام من العلم هذا الموقف الجميل ان
اتجهت انظار العرب الفاتحين الى الاحاطة بكل ما عند الامم
من ثقافات ومدنيات فلم يرض عابهم امد طويل حتى كانوا
أرقى الامم ثقافة واوسطها علماً قال دريير : ان العرب بعد وفاة
النبي بست سنين شرعوا يطلبون العلم حين افتتحوا الاسكندرية
فلم يدعوا فرعاً من فروعها إلا حذقوه وصاروا أئمة ، .

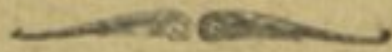
وبلغ التخصص بعلمائنا حدّاً يشبه تخصص علماء
اليوم او يفوقه ، فهذا عالم من علماء اللغة ينفق من عمره
ثلاثين سنة في جمع شتات اللهجات العربية وتبويبها من افواه
القبائل العربية . وهذا إمام اللغة الاصمعي يخرج في رحلة
علمية الى بعض القبائل العربية فينفق خمسة عشر دواة من
الحبر ، في تسويد الصحف وجمع المعلومات . وهكذا نرى
العناية البالغة في شتى فروع العلم ، بينما كانت الامم تنظر بعين
الاجلال والاكبار الى من يحسنون فيها كتابة اسمائهم او
قراءة بضعة سطور في رسالة عادية . وما كان اقل هؤلاء
يومئذ بين جماهير الشعوب الغارقة في بحور الجهالة والامية !..

والاسلام الذي وقف من العلم هذا الموقف العجيب في تاريخ المدعوات ، قدر حاجة الامة الى الاجسام الصحيحة لتزود وتنتفع به . فحث على الطهارة والنظافة « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ، واوجب الوضوء والاعتسال ورجب في السفر « سافروا تصحوا » وفرض الحج على كل مستطيع . وحث الآباء على تعليم ابنائهم كل فنون الرياضة المتعارفة حينذاك « علموا اولادكم السباحة والرمية وركوب الخيل » بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القدوة الحسنة في ذلك فهو يسابق عائشة ويصارع زكاة وينتسل ويتطيب وينهى عن اجهاد النفس في العبادة لئلا تقطع عن أداء الواجب « ان النبات لا ارضاً قطع ولا ظهراً ابقى » ويقول لمن بانه عنه المبالغة في العبادة « ألم أخبر يا فلان أنك تهوم الليل وتصوم النهار ؟ قل بلى يا رسول الله قال فلا تفعل ولكن قم ونم وصم وافطر فان لنفسك عليك حقاً وان لاهلك عليك حقاً » وما اروع قوله عليه الصلاة والسلام

« المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف » .
ولما دخل المسلمون مكة في عمرة الحديبية وبدأ الرسول
بالطواف حول البيت كانت قريش تنظر اليهم من هضاب
مكة فاضطجع رداءه وامرهم بالمرولة وقال « رحم الله امرءاً
اراهم اليوم قوة في نفسه » .



ولا ريب ان قرة الاجسام وسعة المعارف قد يكونان
في الامة اداة شر ان لم يزنهما خلق فاضل وتربية مستقيمة .
والاخلاق في الاسلام وسط بين الافراط والتفريط .
وتقريب بين المثل الأعلى والواقع ، وانسجام بين العقل
والغريزة ، قوة مع رحمة ، حكم مع عدل ، كرم مع اقتصاد ،
تواضع مع عزة ، مساواة مع تسامح ، لين مع حزم ، تشاور
مع عزم ، صفاء مع حذر . وهكذا كان النظام الاخلاقي في
الاسلام هو النظام الوحيد الذي استطاعت الاجيال البشرية
ان تتخلق به فتحفظ بالسمو والحياة في آن واحد . من بين
جميع النظام الاخلاقية التي وضعها الفلاسفة والمتشرعون .



العلم والصحة والخلق الفاضل ان لم تدعمها قوة مادية
تتكافأ مع حاجة الامة واوضاعها السياسية والاجتماعية كانت
عرضة لازوال في اى وقت يشاء خصوم الامة الاقوياء ان
يسطوا عايتها سلطانها او يشوا القوضى والاضطراب في
صفوفها . ولهذا شرع الاسلام اعداد القوة واوجب التهيؤ
للنضال ، ولا اود الافاضة في موقف الاسلام العسكري .
وحسبي ان اسرد لكم آيتين من كتاب الله تبينان الغاية من
اعداد القوة وشرعها (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دولتهم
لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تفتوا من شيء في سبيل الله
يوف اليكم واتم لا تظلمون ، وان جنحوا للاسلم فاجنح لها
وتوكل على الله انه هو السميع العليم)

ولقد كان فريق من الجاهلين او المتعصبين يعيون على الاسلام
شريعة الاستعداد والجهاد حتى كانت اول الدروس التي التقت
علينا هذه الحرب واخذناها من كاحناربع قرن في سبيل التحرر
والاستقلال ان كل نهضة في الامة ان لم يكن من ورائها جيش وعلم
ودولة هي كبناء قام على الرمل تكفي عاصفة هو جاء لتجعل عاليه سافله

كل ما سبق من الدعائم لا تؤتى ثمارها ولا تحقق تمام الفائدة منها ان لم يكن في نفوس الامة ضمير اجتماعي يقيم الحواجز المنيعة بينها وبين استعمال تلك الدعائم فيما يقضى على أمن الوطن وسعادته وانتظام شؤونه .

فالعلماء ان لم توجب عليهم ضمائرهم الاخلاص في سبيل العلم والتفاني في تعليم الامة كان من ايسر الامور عليهم ان يستغلوا علمهم في السلب والنهب او الغش والتدليس !

والاصحاء ان لم تحتم عليهم ضمائرهم ان يستغلوا صحتهم فيما يفيد امتهم ادت بهم الى اللهو والعبث او البغي والاذى !

والخلق المستقيم ان لم يصحبه ضمير حي يرجع مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد انقلب الى اناية خبيثة خفية تحمل صاحبها على التفريط بحقوق المجتمع من حيث لا يظن الناس به الا كل خير واستقامة ،

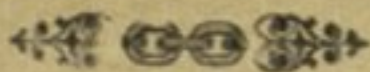
والقوة التنفيذية ان لم يحسن استعمالها وتوجيهها رجال

ذو ضمائر يقظى حمايتهم على الكبر ، الغرور ، واغرتهم بالتجاوز
على سلطان الامة وحقوق الافراد !

لا بد للامة من ان يفرس فيها الوازع الاجتماعي الذي
ينصف كل انسان من نفسه ويجعل له حاكماً من ضميره .
وليس ابعث على تثبيت هذا الوازع من مثل هذه التعاليم
التي فاضت بها سور القرآن ، ان الله يعلم السر واخفى .
يعلم خائفة الاعين وما تخفي الصدور . فمن يعمل مثقال ذرة
خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . ما يكون من
نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا
ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم
ينبئهم بما عملوا يوم القيامة .

اين نور من اقامة الحق ؟ احتل على ائقانون بما
تشاء فهناك العين التي لا تغمض عن شيء ! وتظاهر بالخير
مهما اردت فهناك العلم الذي ينفذ الى خلجات نفسك
ورغبات قلبك ، واسرف في استعمال كل قوة فهناك اليوم
الذي يؤتى فيه بالمجرمين اذلاء مكباين بالحديد والقيود ،
يوم تشهد عليهم ايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون .

لقد فشل الفلاسفة ان يثبتوا الوازع الاجتماعي في
النفوس كما تثبتته هذه التعاليم ، ولقد عجزت الآداب
والفلسفة والاخلاق النظرية ان تخفف من عبء المحاكم
بقلة المتخاصمين ولكن الاسلام استطاع ان يجعل عمر بن
الخطاب يجاس للقضاء في عهد ابي بكر سنة فلا يختصم
اليه اثنان !



واما التشريع الذي تتطلبه نهضة الامة ، فما يخالفنا كل من درس الاسلام دراسة هادئة منصفة انه تشريع متين المدعائم ، غزير المادة ، بعيد النظر ، متماسك الاجزاء يضع لكل داء دواء ، ولكل مشكلة حلا ، وهو مع هذا لا يضيق باصلاح ولا ينبرم بتطور طبيعي نافع . والمشاكل الكبرى التي تشغل بال العالم اليوم كمشكلة الثروة وتوزيعها والمرأة ووظيفتها والحكم وشكله ، والتربية واسسها ، هذه المشاكل وغيرها فصل الاسلام فيها برأي حاسم ، لو وجد من يطبقه في الامة لوفر عليها كثيرا من الجهود الضائمة واغناها عن عديد من التجارب القاسية وعصمها من سيئات الفوضى والبلبلة التي تعانيها اكثر الشعوب ممن لم تتعرض عقائدها لحل هذه المشكلات . وليس الآن مجال الاقضية في حلول مشكلاتنا الكبرى فذلك مما نعرض له في محوئنا المقبلة ولكني اقتصر على ذكر بعض شهادات كبار علماء الفكر ممن لا يظن ان فيهم عصبية للاسلام ، ولا بجاملة لاهله . يقول سبنسر واضع علم الاجتماع :

ان شريعة الاسلام تحتوي على احكام عقابية عجيبة ،
ولا يمكن ان يكون شيء في الوجود احسن منها رجحاناً
في فضل الاحكام كلها .

ويقول البحاثة الامريكي (هو كنج) - استاذ الفلاسفة
بجامعة هارفرد في كتابه روح السياسة العالمية :

« ان سبيل تقدم الممالك الاسلامية ليس في اتخاذ الاساليب
الغربية التي تدعي أن الدين ليس له ان يقول شيئاً عن حياة الفرد
اليومية وعن القانون والنظم السارية . وانما يجب أن يجد
المراء في الدين مصدراً للنمو والتقدم . وأحياناً يتساءل بعضهم
عما اذا كان نظام الاسلام يستطيع توليد افكار جديدة
واصدار احكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ؟
فالجواب عن هذه المسألة هو : أن في نظام الاسلام كل استعداد
داخلي للنمو لا بل انه من حيث قابليته للتطور بفضل
كثيراً من النظم المماثلة . والصعوبة لم تكن في انعدام
وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وانما في انعدام
الميل الى استخدامها وانني اشعر بكوني على حق حين أقرر

ان الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ
اللازمة لنهضتها .

ويقول الاستاذ شيرل الكاثوليكي المذهب وعميد كلية
الحقوق بجامعة فيناني مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧
ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد اليها ، اذا أنه رغم
أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً ان يأتي بتشريع
سنكون نحن الاوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى ثلثه
بعد ألفي عام .

ويقول اشهر كتاب العصر الحاضر برناردشو في
رسالة له بالانكليزية « نداء للعمل » :
« لقد كان دين محمد موضع تقديري السامي دائماً ، لما
ينطوي عليه من حيوية مدهشة ، لانه على ما يلوح لي ، هو
الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ،
والذي يستطيع لذلك ان يجذب اليه كل جيل من الناس ...
وأرى واجباً ان يدعى محمد منقذ الانسانية واعتقد ان رجلا
مثله اذا تولى زعامة العالم الحديث نجح في حل مشكلاته
واحل في العالم السلام والسعادة ، وما أشد حاجة العالم
اليوم اليهما ! » .

ويقول ارموند بورك :

« ان القانون المحمدي قانون ضابط للجميع ، من الملك الى اقل رعاياه ، وهو قانون نسج أحكم نظام حقوق وأعظم قضاء علمي وأعظم تشريع منور لم يسبق قط له الم ايجاد مثله .
هذه شهادات استكثرتنا منها في الا تنهاد على سعة التشريع الاسلامي ورميه وانتظامه لشئ شؤون الحياة ، رجاء ان يسمعها اولئك الذين لا يشكون الا ان شكت اوروبا ولا يؤمنون الا اذا آمنت ، فعلمهم يحسن ظناً بالاسلام وهم ابناؤد الاقربون كما احسن به الطن اولئك السادة المنصفون !
ايها السادة : اذا ثبت ان للاسلام هذه اتموة على احداث الانقلابات ، في الماضي والحاضر ، وامادة صروح النهضة وحل اعقد المشكلات ، كانت لدعوة اليه الآن في امة كأمنا ، المضطربة في نظمها وآدابها وارضاعها ، المتحفز للنهضة والعمل والتحرر ، أجل خدمة تقدم اليها ، اقرب طرق تحمل عايه .
وبذلك وثق شباب محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا ، والى ذلك دعوا وجاهدوا ، ولهم ما كادوا يمشون في طريقهم خطوات ، حتى ارتفعت اصوات من ها وهناك ، تبعاهم عن المير ، وتتهمهم بضلال السمي ، وجمود التفكير !

الاعتراضات الموجهة الى الدعوة الاسلامية الحديثة

١ - قال قائلون : ان العقايه الحديثه لم تعد تستسيغ الدين ، ولم تعد تراه مؤثافاً مع رقي الانسانية وتقدمها .
فالدعوة الى الاسلام الآن دليل على تمكير ساذج قديم ،
ورجوع بالامة الى حياة القرون الوسطى .

٢ - وقال آخرون : ان اوروبافيد غزتنا في عقر دورنا
واستولت على مختلف ميادين النشاط في مجتمعنا ، فلا بد من
ان نجاريها في مضمار الحضارة لنتزاع منها السيطرة والنفوذ ،
ولا بد ان نسلك السبل التي سلكتها للوصول الى هذه القمة
الباذخة من السؤدد والسلطان . ومما لا ينكره احد أنها لم
تبلغ ذلك الا يوم اطرحت رداء الدين ، وتخلصت من سلطة
رجالها ، فعلام يراد بنا ان نكبّل بالقيود التي لم تقم المدنية
الحديثة الا على تحطيمها ؟

٣ - وقال كثيرون : ان الدعوة الى الدين اليوم ، تثير
في الناس زبرات وعصبيات ، تؤدي الى الخصام والنزاع ، بل
ربما ادت الى الفتن والحروب ، فما اغنى الامة عن استعمال

هذا السلاح الخطر المزعج ، وما اولها بالانتماء من اثره
وسلطانه ، لتسير في موكب المجد والنور بدءاً واحدة
وصفاً واحداً ؟ ! .

هذا ما يعترض به المعترضون على دعوتنا التحريرية
الفتية فما مبلغ ذلك من الحق والصواب ؟ .

هل العقابية الحديثة لا تأتلف مع الدين ؟

من ضلال الرأي السائد في اوساط الشباب ان الدين وراثته تقليدية عن الآباء والجدود لا تحتمه الفطرة ولا توجيه واقعات الحياة . وبديهي ان تقول ان هذا صدى للموجة المادية التي اكتسحت اوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، والتي جملت للالحاد سوقاً رائجة ودعاة متضافرين ، ولكن العقل العالمي الفلسفي في القرن العشرين اخذ يتحرر من فلسفة المادة الضيقة ، وتأثير ادبائها وفلاسفتها عليه ، وقام بحمل ممول الهدم في بنائها الشامخ ، ليأتي عليه من قواعده وقد كاد يباغ من ذلك أرباباً ، حتى ليذكر الكاتب الانكليزي مؤلف كتابه فلسفة المحدثين والمعاصرين : ان تقارب العلم والفلسفة والدين ظاهرة من ظواهر الحركة الفكرية في العصر الحاضر .

والعقل الحديث اليوم ، بعد ان تحرر من رِق الفلسفة المادية ، يؤمن تمام الايمان ان الدين لازم من لوازم الحياة لا يستقيم نظامها ولا يصفو كدرها الا في ظلاله .

يقول هيلارييلوك « ان اوروبا ستعود الى الايمان او تالشي »
ويقول أجوست سباتيه في كتابه فلسفة الدين « لماذا انا
متدين ؟ » اني لم احرك شفتي بهذا السؤال مرة الا وارانني
مسوقاً للاجابة عليه بهذا الجواب . وهو : انا متدين لاني
لا استطيع غير ذلك فالتدين لازم معنوي من لوازم ذاتي .
يقولون : ذلك اُرمن آثار الوراثة او التربية او المزاج فاقول
لهم : قد اعترضت على نفسي كثيراً بهذا الاعتراض نفسه
ولكني وجدته يقهر المسألة ولا يحلها ، وان ضرورة التدين
اشاهدها اكثر قوة ، في الحياة الاجتماعية البشرية فهي ليست
اقل تشبهاً مني بأهداب الدين ، الى ان قال « واذن فالتدين
باق وغير قابل للزوال ، وهو فضلاً عن عدم انضوب ينبوعه
بتمادي الزمن نرى ذلك الينبوع يتزايد اتساعاً وعمقاً تحت
المؤثر المزدوج من الفكر الفلسفي والتجارب الحيوية المؤلمة »
فالعقل الحديث عقل مؤمن ، والنفسية الحديثة تميل الى
التدين وتقبله ، ولكنها تشترط في الدين ليكون متفقاً مع
وجهتها العلمية وحياتها الواقعية ان تتحقق فيه عدة شروط :

الشروط التي تتطلبها العقلية الحديثة من الدين

- ١) ان يكون ملائماً للفطرة ، غير مصادم للعقل .
 - ٢) ان لا يقوم حجر عثرة في سبيل امتداد سلطان الحضارة .
 - ٣) ان لا يحظر على الناس استعمال ما تميل اليه نفوسهم من متع الحياة مما لا يضر بالفرد او المجتمع .
 - ٤) ان لا يكون فيه من التكاليف الكثيرة ما يحول دون اعمال الحياة او يوقع في الضيق والخرج .
 - ٥) ان يكون مراعياً مصلحة الجماعة عاملاً من عوامل الاستقرار والطمأنينة فيما بينهم .
- والاسلام بلا شك قد استوفى هذه الشروط على اتم وجه واكمله واليكم البيان :

١ - الإسلام والفطرة

الإسلام دين الفطرة الصافية التي لم تلوث بما يفسد نقاءها
وسفائها وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه :
« فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس
عليها ، لا تبدل خلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس
لا يعلمون .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد
على الفطرة ، .

ومن درس تفاصيل الشريعة واحاط بأسرارها تجلت
له هذه الحقيقة سافرة بينة ، وهل بعد ، وقف الإسلام من
القتل ومحاربه للخرافات والاضاليل ذلك الموقف الذي
تحدثت به آنفاً ، هل بعد ذلك دليل على قرب الإسلام
من طبيعة الانسان وفطرته ؟ ومن ابرز ما يدل على مسابرة
الفطرة موقفه من متع الحياة ؟ ..!

الاسلام والحضارة

والاسلام قبل ذلك كله دين يأخذ بيد الحضارة ويدفع الامم
دفعاً الى ميادين التمدن . وان ديناً تباع دعوته الى العلم ذلك
الحمد الذي سمعتموه لا يمكن ان يحول دون حضارة او يعمل على
عرقلة رقي ، وتاريخه شاهد عدل على ذلك . فقد اجمع
المؤرخون ان الاسلام اقام اكبر حضارة عرفها التاريخ ، وان
الحضارة العربية الزاهرة لم تنهض الا على سواعد الاسلام
ودعائه وان الحضارة التي اقامها كانت المعين الذي استقت منه
الحضارة الغربية الحديثة .

قال غوستاف لوبون : « لقد كان للمدنية الاسلامية تأثير
عظيم في العالم . وتم لها هذا التأثير بفضل العرب والعناصر المختلفة
التي دانت بالاسلام . وبنفوذهم الادبي هذبوا الشعوب البربرية
التي قضت على الامبراطورية الرومانية ، وبتأثيرهم العقلي فتحوا
لاوروبا عالم المعارف العلمية والادبية والفلسفية وهذا ما كانت
تجهله وعلى ذلك كان العرب مديننا واساتذتنا مدة ستائة سنة . »

الاسلام والمنع بمنازل الحياة

الاسلام لا يحظر على الناس استعمال ما تميل اليه نفوسهم من متع الحياة الطيبة . ودستوره في ذلك قوله تعالى :
« قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ » .

واذا حرم من لذائذ الحياة شيئاً فذلك ليكبح جماح الشهوات ، ويفرض على الانسان حياة التوسط والاعتدال ودستوره في ذلك :

« كلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

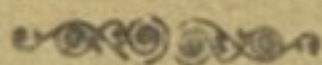
وليس الاسراف مقصوراً على التذير المادي ، بل هو شامل لكل تفريط في تناول شيء مرغوب .

فالخر اسراف في تحصيل لذة السرور تصل الى غيبوبة العقل .

والزنا اسراف في قضاء الشهوة يصل الى تعريض الجسم للأمراض .

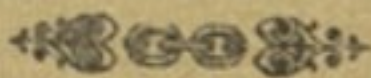
والقمار اسراف في جمع المال يبلغ حد الأثرة والشره

والطمع ؛ وقل مثل ذلك في كل ما حرمه الاسلام انه إسراف
وتفريط يضر بالفرد او المجتمع وما قامت شريعة إلا على
رعايتهما والنظر في شؤونهما .



الاسلام والتيسير

- وليس في الاسلام ما يوقع في حرج او يؤخر عن واجب .
- « ما جعل عليكم في الدين من حرج » .
- « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .
- وما خير رسول الله بين امرين الا اختار اليسرها .
- ولقد كره الاسلام التعمق في الدين والتشدد في العبادات ،
والغلو في التعبد وقال في ذلك :
- « ان هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد
الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا » .



الاسلام ورعاية مصلحة الجماعة:

مصلحة الجماعة هي اساس التشريع الاسلامي الخالد ،
ومن أنعم النظر في ابواب الفقه الاسلامي علم أن أكثرها
لتحقيق المصلحة العامة كأبواب الزكاة ، والوقف ، وإحياء
المرات ، والربا ، والحدود ، والجنايات .
وما تعارضت مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة إلا
رجح الاسلام الثانية على الاولى ، كما في هدم البيت
المنداعي للسقوط ، والاختذ منه للطريق العام ، وأخذ
الامام شيئاً من أموال الناس اذا اقتضت المصلحة ذلك .
هذا تحليل للاعتراض الاول وبيان لما فيه من مخالفة
للحق وبعد عن الصواب .

هل نهضة ما لا نتم إلا باطراح الدين كما فعلت أوروبا ؟

ان ذلك الزعم القائل بأن أوروبا لم تنهض الا يوم
تحررت من ربة الدين ورجاله ، فلا تنهض الا اذا سلكتنا
سبيلها هو زعم ناشيء من الجهل بطبيعة الاسلام اولا ،
وقلة الاحاطة بموقف رجال الدين من العلم ، والعلماء في فجر
نهضة أوروبا ثانياً .

طبيعة الاسلام كما سمعتموها الآن مختلف تمام الاختلاف
عن طبيعة غيره من الاديان التي عاقت خطى الحضارة ،
ورجال الدين الذين كان شعارهم كما جاء في دائرة معارف
القرن التاسع عشر :

« اطفئ مصباح عقلك واعتقد وانت اعمى » .

والذين كانوا يحكمون على القائلين بكرويه الارض
ودورانها بالكفر والاحراق .

والذين كانوا ينفرون الناس من فلسفة ارسطو
وتعاليم ابن رشد .

هؤلاء غير رجال الدين الذين كانوا يقررون للناس
قوله تعالى :

« ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر
والفؤاد كل اواثك كان عنه مسؤولا » .

وهم غير رجال الدين الذين كانوا يشرحون كروية
الارض ويقررونها في مساجدهم ويثبتونها في تفسير قرآنهم
كما فعل الايضوي والفخر الرازي . وهم غير رجال الدين
الذين تأدبوا باآداب القرآن « وبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه » ويعملون بوصية رسولهم : الحكمة
ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها . خذ الحكمة ولا يفرك
من اي وعاء خرجت » .

لئن كان اولئك اخرجوا سير النهضة في اوروبا وقاموا
العلوم والفلسفة والآداب ، فلقد كان هؤلاء حملة مشاعل
الحضارة وحدارة كبرها وأعلام قادتها .



هل الدعوة للاسلام دعوة الى عصبية وتفرقة مسمومة

أما ان تكون دعوتنا للاسلام باعث عداوة وتفرقة
طائفة ، فقد يكون ذلك معقولا ، لو أن طبيعة الاسلام طبيعة
عدوان ، ولو ان تعاليمه تثبت الكره لخالفه ، وتحمل على
عداوتهم ، ولكن الاسلام دين حب واطفاء ، يفرض في الناس
جميعاً اخوة الانسانية ، فلا تمايز لأحد على أحد الا بالعمل
الصالح ، والخدمة للمجتمع ، وهو يوجب الايمان بجميع
الانبياء السابقين ، ويلزم حبهم وتقديسهم ؛ وقد وضع للمعاملة
غير المسلمين مبدأ لا أعتقد ان في الدنيا اسمى منه غاية او
اكرم عدالة ، او اوسع صدراً ، وذلك هو قوله تعالى :
« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين .
انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من
دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك
هم الظالمون ، .

الدين الذي يضع مثل هذا المبدأ ، والدين الذي

يقول : « لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي ، .

والدين الذي يقول : « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم اليه
انعمهم لعيله . » هذا الدين ليس من طبيعته البغي ولا التفرقة
ولا نشر العداوة والبغضاء ، فاذا رأيتم في المنتسبين اليه من
بغى واعتدى فذلك اثر الانحراف عن تعاليمه ، والابتعاد
عن السرى في ضوء افاره ونجومه .

يقول بعض الناس : هذا حق ، ولكن غير المسلمين
يوجدون شراً من الدعوة للاسلام ، ويسوؤهم ان ينهض
المسلمون على اساس من دينهم وهدى نبيهم ! ..

ومحذقول ما ذنبنا في خوف لا مبرر له ، وفي القلق
من دعة واضحة لا لبس فيها ولا ابهام ؟ ..

ان دونا محصورة في وسطامة مسلمة لا تعدوها
الى سواها تنفي انهاضها على اساس عقيدتها القوية الصافية
الخالية من البدع والضلالات ؛ البعيدة عن روح الفوضى
والمخاصمات . وهذه العقيدة اشتمل على ثلاث نواح :

العبادات - والآداب - والمعاملات

وليس في اخذ المسلمين بواحدة منها اي خطر على

من سواهم .

أما العبادات فأثرها ظاهر في تقويم الاخلاق ، وتهذيب
النفوس ، وتقوية الاجسام ، واعداد الفرد لحياة اجتماعية
راقية قوية ، فأبي خطر ينشأ من ذلك على غير المسلمين؟! .
وأما الآداب ، فهي من أقوى ما عرف التاريخ من نظم
الاخلاق والسلوك .

آداب لا تصادم الفرائز ولا تسترسل مع الشهوات ،
وهي مع ذلك تحارب الضعف والكسل والاباحية والتحلل ،
وتفهم الثقة والعفة والامانة في اعمال الناس واقوالهم
ونياتهم ، فأبي ضرر يلحق بغير المسلمين اذا تخلق المسلمون
بهذه الآداب؟ على أن هذه الآداب هي آداب قومية عامة
لا تختص بالمسلمين فحسب ، ولقد رأينا كيف كان أبناء
هذه البلاد يتخلقون بأخلاق متشابهة ، ويعيشون في جو
واحد متشابه في الزي والمأكل والمعيشة وغيرها ، حتى
جاءت المدينة الحديثة ، فأسرع الى التعلق بقشورها فريق
كبير من غير المسلمين ، أفليست الدعوة الى احياء تلك
الآداب الصالحة دعوة قومية جامعة؟..

وأما المعاملات فهي تشريع عالمي ينظم شؤون الحياة

المختلفة على مبادئ من أرقى المبادئ التشريعية العالمية .
تشريع يقرر عنه مؤتمر القانون المقارن المنعقد في لاهاي
سنة ١٩٣٦ أنه :

- ١ - تشريع حي صالح للتطور .
 - ٢ - تشريع عالمي من مصادر التشريع العام .
 - ٣ - مستقل بذاته ليس مأخوذاً ولا مستمداً من غيره .
- إذا عملنا بهذا التشريع الخالد في شؤوننا العامة ، فانتفع
به أبناء هذه الأمة على اختلاف مللهم ، فهل فيه شيء من
الضرر على غير المسلمين الذين لم يتعرض دينهم لشأن من
شؤون التشريع حتى استعاروا من الاسلام بعض انظمتهم
كنظام الارث ؟ .

وإذا كانوا لا يرون من الفضاضة عليهم أن يأخذوا
من الغرب تشريعه ونظمه ، فهل من الفضاضة عليهم أن يأخذوا
بتشريع الاسلام ، وهو تشريع نعا وترعرع في جو العروبة
والشرق ؟ أو ليس الاخذ به ، وهو تراث خالد من تراث
الأمة البرية ، ومظهر من مظاهر عبقرية علماءها ومجتهديها ،
أخذاً بأقوى أصرة تجمع شتات انحرب اليوم ، على هوى
واحد ، وهدف واحد ؟ ..

ليس التعصب يا سادة ، أن ندعو الى مبدأ نعتقد فيه
القوة والخير والكرامة لنا ، ولكن التعصب ان يُنكر
عائنا اعتناق هذا المبدأ ، والدعوة اليه ، والاستفادة منه ؛ وهو
لا يسيء الى احد ولا يلحق بالمخالفين لنا ضرراً ؛ ولا
ينتقص لهم حقاً ...

لا بل أنا اذهب الى ما هو ابعد من هذا ،
واجبر بما هو اكثر صراحة : إن المسلمين من مجموع
الامة العربية يبلغون ٩٧ . ٠ / ٠ .

فالدعوة التي تحقق انهاض هذه الجمهرة الكبرى ورفعتهم
وكرامتهم تحقق انهاض البقية الباقية منهم ..

ولقد حدثنا التاريخ ، أن نصارى هذه البلاد ، كانوا
ارقي من نصارى اوربا علماً وثقافة ، واعز منهم مقاماً
ومكانة يوم كان المسلمون في هذه البلاد اقوياء علماء
اعزاء ، فلما انحط شأن المسلمين انحط شأن المسيحيين تبعاً
لهم ، واصبحوا ادنى من مسيحيي الغرب في كل شأن من
شؤونهم .

افليس اذاً من مصالحهم ان يكونوا معنا اقوياء

اعزاء بدلاً من ان نظل نحن واياهم مستذلين ضعفاء ؟
واليس من مصالحة هذه الامة ان تسير الدعوة الى الاسلام
الصحيح سيراً طبيعياً لا يعترضه احد ولا تتبرم به
طائفة ؟ .



بعض ما نعمل له الآن

أيها السادة : اذا كانت دعوتنا هي الإصلاح على اساس الاسلام ، فان في مقدمة ما نعمل له الآن :
اولاً - تعميم التعليم واصلاح برامجه ليكون وافياً برغائب الامة ، منسجماً مع حاجاتها .

ثانياً - اصلاح القوانين الحاضرة التي تزداد في ظلها الجرائم ، وترتكس الاخلاق وتضيع حقوق الناس .
ثالثاً - القضاء على مظاهر الفساد والتحلل ، وبث الرجولة في نفوس الامة ، واتخاذ الطرق العملية لانهاض مستوى الاخلاق العامة .

رابعاً : القضاء على مظاهر الظلم الاجتماعي ، وايصال العمال والفلاحين والفقراء الى حقوقهم في حدود الاسلام العادل الرحيم .

خامساً : القضاء على مظاهر الضعف الجسدي والامراض المنتشرة ، بنشر الدعوة الصححية ، وتأسيس النوادي الرياضية ، والمستوصفات العامة ، وتأليف فرق الفتوة ، وما شابهها .

سادساً - رفع مستوى المرأة ؛ خلقياً ودينياً واجتماعياً
لتكون صالحة للقيام بوظيفتها الطبيعية من تربية النشء
وتنظيم الأسرة .

سابعاً - حياطة كيان الامة من كل فساد ، داخلي او
خارجي ، ومحاربة الاستعمار في جميع صورته واشكاله .
وان في مقدمة الفساد الخارجي ، ومن اخطر اشكال
الاستعمار الفكري هذه الدعوات التي تمتد جذورها الى امم
اجنبية ، وتستمد قوتها من معونة اجنبية ، والتي ترمي الى
بث مبادئ لا تلتئم مع الاسلام ولا تتفق مع مصلحة الامة ،
ولا تشر الا نشر الفوضى ، وزعزعة العقيدة ، وإيمانه
الشعور القومي والوطني في نفوس ابناء الجيل الجديد .

هذه الدعوات لا تنفك عن محاربتها في حدود الحجية
والمنطق والقانون ، وتحذير الامة مما تنطوي عايه من
اخطار لا نهاية لها ، وفوضى لا غاية لشرورها وآثامها .

هذا ايها الاخوان بمض ما نعمل له ، وليس كل ما
نريد عملة ، ولا كل ما يتضمنه برنامج حركتنا من
خطط ومبادئ ترمي الى الاصلاح والنهوض .

وما احسب الا ان دعوتنا بعد هذا الايضاح
والنقاش ، قد اتضحت سبلها ، وبات مقاصدها ، وتميزت
عن غيرها بأنها تستمد قوتها من قوى الامة الروحية
والخلقية والفكرية ، فهي اذا صدق اتجاه فكري في الشرق
العربي الحديث واقرب طريق للوصول بهذه الامة الى
حياة كريمة تصل حاضرها بماضيها ، وتستخرج دفائن
المظمة والبطولة والسمو والكمال من نفوس ابنائها
وبنائها ، حتى ينظم التاريخ في ايجادنا الحاضرة اناشيد
الخلود يتغنى بها فم الزمان !

دعاء وإهابة

أيها الشباب ! لقد حدثتكم من قبل ، حديث
العقل والمنطق ، وأنا أريد الآن أن أحدثكم حديث
ال عاطفة والشعور .

أيها الشباب ! انكم ترون بأعينكم سيل الفساد قد
عم كل ناحية من نواحي المجتمع . ولقد وثقتم أن اصلاحه
لن يكون إلا عن أقرب الطرق وأجداها : عقيدة الامة
وماضيها ؛ فاستفيدوا من عقيدتها ما تصالحون به
اوضاعها واخلاقها ، واستفيدوا من ماضيها ما تحيون به
هممها وعزائمها . ان عقيدتكم زاخرة بالقوة وان ماضيكم
حافل بالمجد ، ومن اوتي المجد والقوة ، ثم فرط فيهما كان
اشقى الهالكين .

يا شباب ! من للوطن غير سواهدكم تهض به على
تقوى من الله ورضوان ؟ ومن للامة غير صرخاتكم
توقظها من رقدتها وتبث فيها روح اليقظة والعمل
والحب والاحسان ؟ ومن للاخلاق الفاسدة غير عزائمكم

تدك معلمها ، وتدرس آثارها ، وترفع للفضيلة أعلاماً
شامخة ، حتى تفيض جنبات الوطن بالعفاف والنبل والسمو
والإمان ؟

يا شباب ! ان محمداً صلوات الله وسلامه عليه ، بكل
آباءكم بأكاليل المجد ، وبوأهم جنات النعيم ، ودون اسماءهم
في اسفار البطولة والقيادة والنبوغ ، فاتبعوا محمداً ، فانما
تبعون اعظم قواد الدنيا نجاحاً وحكمة واخلاقاً . واجهروا
بالاسلام فانما تمثلون انبل مبادئ الدعوات عدلاً ونظاماً
ورحمةً وسلاماً .

ان يهتموكم بعد ذلك بالجمود فيا حبذا جمود يبويء
الخلود ، ويلحق عظمة الابناء بعظمة الجدود ! وان ينعتوكم
بالرجعية ، فانهم بها من رجعية تطفىء النار ، وتحمي الزمار ،
وتدفع العار ، وترد كيد الاشرار ، ودعاة الاستعمار ! ..
يا شباب ! لقد وثقتم من العاريق فلا تترددوا ؛ وايقتم
بالغاية فلا تيأسوا ، واطمأنتم الى الكفاح فلا تنكصوا .
لا تعبأوا بلوم الاعمين ! فالذين آمنوا اذا مروا
باللغو مروا كراماً .

ولا تبالوا باستهزاء المستهزئين ! « فالذين أجرموا
كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم
يتغامزون . »

ولا تصدنكم عن العمل كثرة المتاعب ! فما يصيبكم من نصب
ولا تعب في سبيل الله الا كتب لكم به عمل صالح .
ولا تضنوا في سبيل الحق بأموالكم ولا انفسكم
فان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة .

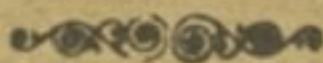
ولا تشكوا بنجاح دعوتكم فان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون . « ولا تهنوا ولا تحزنوا واتم
الاعلون ان كنتم مؤمنين . »

اعملوا يا شباب ليردد فيكم التاريخ قول شاعركم العربي :
وما كان من خير أتوه فأنما

توارثه آباء آبائهم قبل

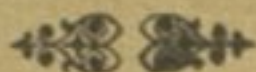
وهل يلبت الخطي الا وشيجه

وتغرس الا في منابتها النخل ؟

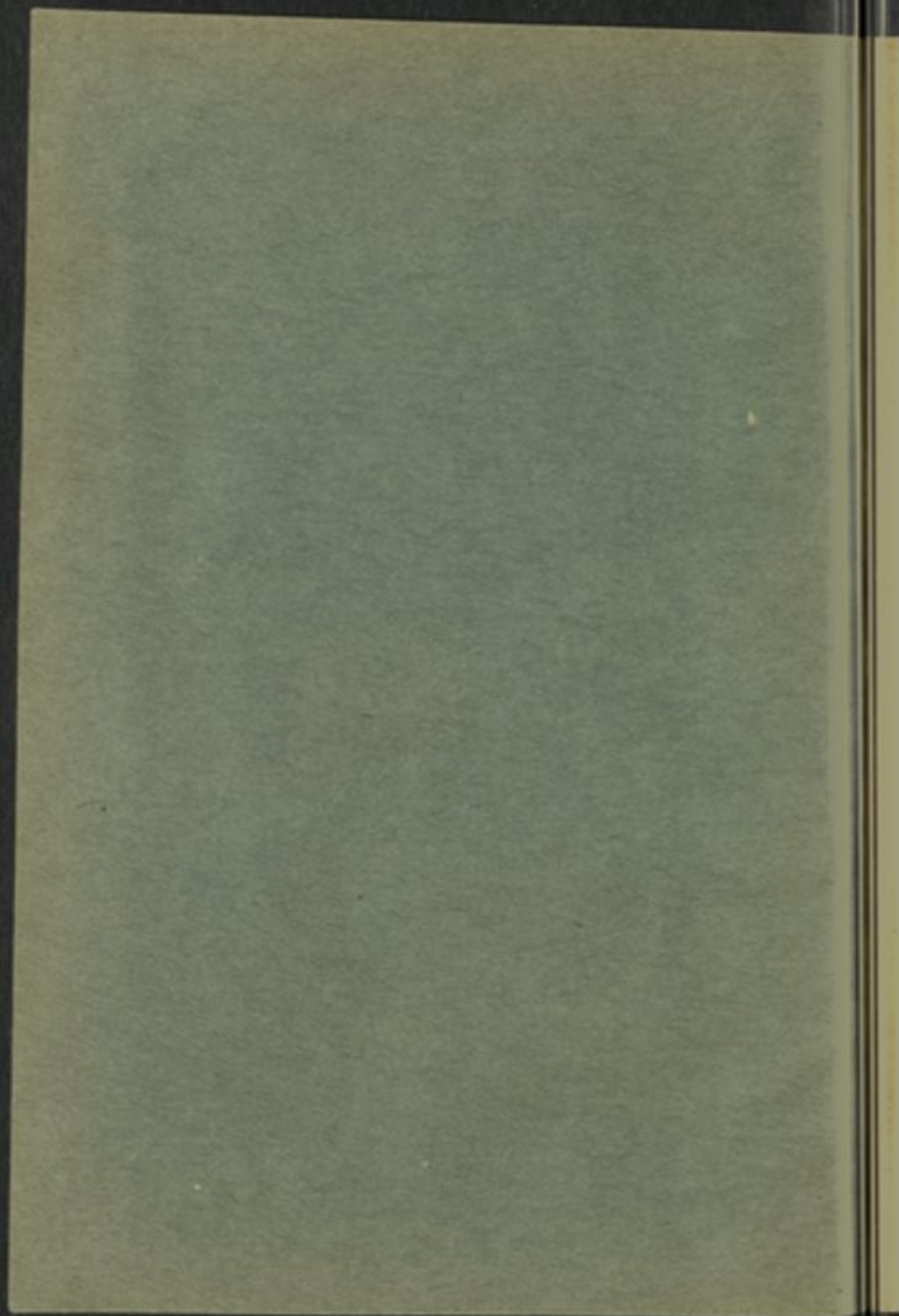


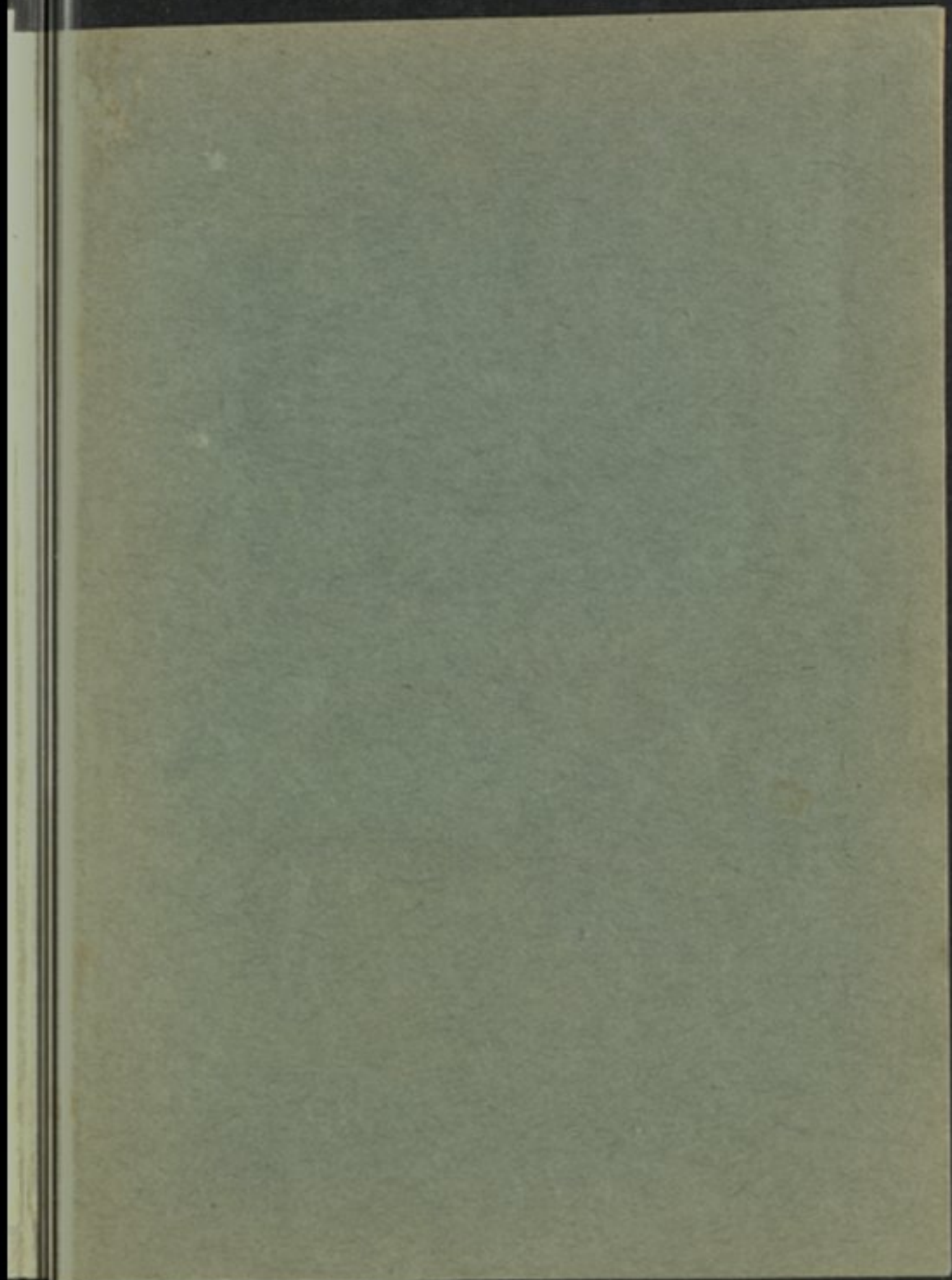
وبعد : فهذا هو نص المحاضرة التي أقيمت في جمعية
الشبان المسلمين بدمشق في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٦٤
ويسرنا ان نسجل هنا ان فكرتنا أخذت تتضح في
اذهان الجمهور ، وتجد تأييداً من الاوساط الثقافية
المخلصة ، ومن البيئات التي كانت تتوجس خيفة من
انتشار الفكرة الاسلامية الحديثة ، حتى غدا خصومها
بالامس من اشد أنصارها اليوم ، وذلك فضل من الله
ومنة ، بل تقذف بالحق على الباطل فيدمنه فاذا هو زاهق .

دمشق : رجب ١٣٦٤









CA, 297:SI562aA:c.1

السباعي، مصطفى

اصدق الاتجاهات الفكرية في الشرق ال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01005297



AMERICAN

UNIVERSITY OF BEIRUT

CA

297

Si562aA

C.I